مقدمة المؤلف

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على أوليائه المقربين محمد وآله الطاهرين.

إن موضوع علم العرفان هو معرفة اللّه بالشهود وأما حكاية هذا الشهود بالمصطلحات والمفاهيم العامة فيسمى عرفانًا نظريًا، كما أن علم السير والسلوك ومعرفة النفس يسمى عرفانًا عمليًّا.

يبحث العرفان النظري عن الذات والأسماء والصفات والأفعال الإلهية وحقائق الوجود وتجليات الربوبية في العوالم، بلغة علمية جذابة ومقنعة بمنهج الشهود. فهو علم ومعرفة. وأما العمل والشهود فلا يعد جزءًا من العرفان النظري.

لو أردنا مقارنة علم العرفان النظري والفلسفة فلا بد من بيان نقاط الالتقاء ونقاط الافتراق.

أما نقاط الالتقاء فتكمن في الهيئة المعرفية حيث إنهما من سنخ العلم الحصولي وكل واحد من الفلسفة والعرفان النظري علم ومعرفة بشرية على حد سواء. ونقطة الالتقاء الأخرى محاولة كل منهما تفسير الوجود تفسيرًا واقعيًا صحيحًا.

بيد أن نقطة الافتراق تتعلق بمنهج تفسير الوجود والعالم فإن الفلاسفة يقيمون البراهين العقلية والعرفاء يحكون قصة مشاهداتهم الباطنية بألفاظ ومفاهيم علمية. يحاول الفيلسوف ببراهينه أن يوصلنا إلى مرتبة «علم اليقين» ويحاول العارف إيصالنا إلى «علم اليقين» و«حق اليقين»، ومن خلال ذلك يرى الفيلسوف العالم وجودًا حقيقيًّا أصيلًا ذا مراتب ضعيفة وشديدة تنتهي بنا إلى واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال وأما العرفان النظرى فيحدثنا عن وجود شخصي لا يتناهى يسميه العارف «الوحدة الشخصية» وهي حقيقة الخالق.

فالمخلوقات مظاهره وشؤونه وتجلياته وفعله تعالى. ففى نظر العارف هذه الوجودات ظلية وليست حقيقية.

ولنا أن نتسائل: هل يمكن الوصول إلى اللّه والقرب منه ولقاءه والفناء فيه من خلال معرفة النفس وتصفية الباطن وتخليصها من الكدورات؟

يمكن الإجابة على ذلك بنعم، حسب الكتاب والعترة الطاهرة وكذلك مدرسة الفلسفة الإشراقية السهروردية والحكمة المتعالية الصدرائية.

فأما الكتاب فآياته تصرح بذل وتحث عليه. يقول اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ

(١) سورة **الكهف**، الآية ١١٠.

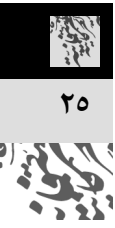

فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٣].

وأما العترة الطاهرة فيكفي النظر بإمعان إلى **نهج البلاغة** و**الصحيفة السجادية** وأدعية الأئمة الأطهار نظير قول الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في المناجات الشعبانية: «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور وتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك».

يقول القيصري، وهو أحد أبرز علماء العرفان النظري، في صدد تعريفه للذوق:

«ما يجده العالِم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد فإن كلًا منهما وإن كان معتبرًا بحسب مرتبته لكنه لا يلحق مهما بلغ بمرتبة العلوم الكشفية إذ ليس الخبر كالعيان».

ويقول ملا صدرا: «فالعلم بها [الحقائق ومعرفة النفس] إما أن يكون بالمشاهدة الحضورية أو بالاستدلال عليها بآثارها ولوازمها فلا تعرف بها إلا معرفة ضعيفة».

وحقيقة الأمر أن العرفان النظري في عصرنا الراهن هو

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ١٨٦.
(٢) سورة **العنكبوت**، الآية ٦٩.
(٣) سورة **الشمس**، الآية ١٠.

عيال على مدرسة الحكمة المتعالية التى كانت خاتمة التنافر بين المدرستين المشائية والإشراقية مع أن ملا صدرا استفاد كثيرًا من العلوم الكشفية في مدرسته الفلسفية وسبقه إلى ذلك من الفلاسفة الكندي والفارابي والسهروردي وابن رشد وغيرهم. فالمدرسة التوفيقية بين الفلسفة والعرفان والفقه والظواهر والنصوص الدينية تبلورت وتكاملت على أيدي محققي الفقه والأصول من الفلاسفة والعرفاء المتألهين.

يقول العلامة الطباطبائي في **تفسير الميزان** [ج ٥- ص ٨٣] في صدد البحث عن تاريخ الفكر الإسلامي في بذوره الأولى، يقول:

«رام جمع من العلماء... على اختلاف مشاربهم أن يوفقوا بين الظواهر الدينية والعرفان كابن العربي وعبد الرزاق الكاشاني وابن فهد والشهيد الثاني والفيض الكاشاني، وآخرون أن يوفقوا بين الفلسفة والعرفان كأبي نصر الفارابي والشيخ السهروردي صاحب الإشراق والشيخ صائن الدين محمد تركه، وآخرون أن يوفقوا بين الظواهر الدينية والفلسفة كالقاضي سعيد وغيره، وآخرون أن يوفقوا بين الجميع كابن سيناء في تفاسيره وكتبه وصدر المتألهين الشيرازي في كتبه ورسائله وعدة ممن تأخر عنه».

وربما لم يوفق أحد كالإمام الخميني قدس سره الشريف في تحويل المعارف الإلهية الفلسفية والعرفانية والفقهية والأخلاقية والكلامية والحديثية إلى نهضة إحيائية شاملة لتحقيق حضارة إنسانية قائمة على أساس الكتاب والعترة الطاهرة.

وكيف كان، فعلم العرفان بكل تشعباته ونطاقه الواسع ومناهجه وروّاده انتقل من الكتب الفلسفية والعرفانية والبحوث

الحوزوية والأكاديمية إلى عالم الشعر والأدب العرفاني ثم تحول إلى ثقافة عامة ونمط سلوكي وصار مثارًا للجدل بين المتدينين بين مؤيد وناف وتكونت اتجاهات عقائدية وقيمية واجتماعية وسياسية من خلال هذا الرفض والتأييد.

ما هو تقييمنا للثقافة العرفانية؟ ما هي حقيقة العرفان النظري والعملي؟ كيف نتعرف على الحقيقة ونكتشف الالتباس في الفهم والتلبيس الشيطاني؟ ما هي القراءات المتعددة لوحدة الوجود؟ كيف انتقلت إلينا هذه المصطلحات العرفانية؟ ما هي حقيقة شخصية محيي الدين بن العربي؟ النفس كيف تتوسط في المشاهدات؟ ما هي السبل لتطهير مرآة النفس من الكدورات؟ كيف نطلب السعادة؟ ما هو دور الإرادة الإنسانية في ذلك؟ كيف يمكن تقوية الإرادة؟

هذه مجموعة من المسائل نحاول الإجابة عليها ثم نتطرق إلى أهم مسائل العرفان النظري، كوحدة الوجود الشخصية، والعالم في الرؤية العرفانية والعوالم الخمسة، وحقيقة الخلافة والولاية، وخصائص الإنسان الكامل، وقراءة في كتاب **الولاية** للعلامة الطباطبائي (ره)، وفي ختام المطاف بيان المدرسة العرفانية الجامعة والشاملة الإحيائية للإمام الخميني (رض).

هذا الكتاب هو بالأصل مجموعة محاضرات وفقني اللّه لإلقائها على مجموعة من إخوتي وأحبائي أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية في الكويت في مدرسة الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ في بلاد الكويت، استجابةً لطلبهم في رمضان عام ١٤٣٥هـ، وإن لم أكن أهلًا ومن أصحاب الاختصاص في هذا الفن.

وكان من بين الحاضرين، بجدية وتركيز فضيلة الأستاذ الموفق

المجاهد الحاج شيخ حسين الأكرف حفظه اللّه تعالى. فلمست في شخصيته الكريمة إضافةً لما هو معروف عند الجميع -خاصةً هواته- مما يرتبط بذكر أهل البيت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وصوته العذب الحسن ونغمته المؤثرة في النفوس عبر إنتاجاته الكثيرة، وجدته عالمًا فاضلًا تقيًا عاملًا وله إلمام بكثير من المباحث الحوزوية ومنها الفلسفة والعرفان. فكان يقرر المحاضرات يوميًا ويعرضها عليَّ في اليوم الثاني إلى أن أكملها ثم قام بتحقيق وتبويب هذه المحاضرات حتى استطاع بعون اللّه إخراجها بشكل هذا الكتاب.

شكر اللّه سعيه وتقبل عمله ووفقه لمراضيه وجزاه أحسن جزاء المحسنين، وأشكره على جميل صنيعه وحسن معروفه وإتعاب نفسه وسعيه الجاد وهمته العالية في إكمال تقرير وتحقيق هذه المحاضرات.

وفى الختام أسأل اللّه تعالى أن يجعل هذا العمل نافعًا للمؤمنين وذخيرةً لنا ليوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم باتباع القرآن والعترة الطاهرة والعمل بشريعة سيد المرسلين بحق محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة
رجب الأصب ١٤٣٦هـ
الأقل عباس الكعبي